24

وصية بالرُّقْيَةِ وتعليم النساء

نص الوصية

روى ابن أبي حَثْمَةَ القُرَشي أن رجلاً من الأنصار خَرَجَتْ به نَمْلَةٌ فَدُلَّ أن الشِّفاءَ بنت عبد الله تَرْقي من النملة، فجاءها فسألها أن ترقيَهُ فقال: واللهِ ما رَقَيْتُ منذ أسلمتُ، فذهب الأنصاريُّ إلى رسول اللهِ ﷺ فأخبره بالذي قالت الشفاء، فدعا رسول الله ﷺ الشفاء فقال: «اعْرِضِي عليَّ»، فعرضَتْها عليه فقال: «ارْقِيْهِ، وعَلِّمِيْها حفصةَ كما علَّمتها الكِتَابَ»[1].

مفردات الوصية

الرقية: كلام يذكُرُهُ الإنسان للاستشفاء به.

رقية النملة: النملة هي قروح تخرج في الجنب.

اعرضي علي: أي اذكري الكلامَ الذي ترقين به لأسمعه.

الكتاب: الكتابة، وقد جاء تفسيرها في رواية أخرى للحديث، وهذا معنى قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: 52].

ما يُفْهَمُ من الوصية

أختي المسلمة، في هذه الوصية أمران مهمان طلبهما الرسول ﷺ من الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها؛ أحدهما الرقية، والثاني طلب تعليم

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم (6888). وهو صحيح.

المرأة. وثمة أمر آخر في النص مهم سيتضح في أثناء شرح موضوع العلم إن شاء الله.

1- مشروعية الرقية

في نص الوصية يتضح لنا أن الشفاء كانت ترقي الناس في الجاهلية، ثم لما أسلمت تحرجت من الرقية لأنها كلمات من أيام الجاهلية قد يكون فيها ما يعارض الإسلام، ولكن النبي ﷺ أمرها أن ترقي الرجل الأنصاري بعد أن فحص كلمات الرُّقْيَة فحصاً تاماً فوجد أنها كلمات لا حرجَ فيها ولا تعارض الإسلام.

وقد جاءت نصوص أخرى في طلب الرقية أيضاً؛ فقد روت أم سَلَمَةَ رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال لجارية في بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ رأى بوجهها سَفْعَةً فقال: **«بها نَظْرَةٌ؛ فاسترقُوا لها»** يعني: بوجهها صُفْرَةٌ[1].

وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال: رخَّصَ رسولُ اللهِ ﷺ لآل حَزْمٍ في رُقْيَةِ الحية وقال لأسماء ابنة عُمَيْسٍ: **«ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعةً، تصيبهم الحاجةُ؟»** قالت: لا، ولكن العين تُسْرِعُ إليهم. قال: **«ارقيهم»**، فَعَرَضْتُ عليه، فقال: **«ارقيهم»**[2].

وأيضاً روى أنس بن مالك رضي الله عنه فقال: **«رَخَّصَ رسولُ اللهِ ﷺ في الرقية من العين والحُمَةِ والنملة»**[3]. فهذا كله دال على مشروعية الرقية وأنها صحيحة ومباحة.

---

(1) سَفْعَةٌ: هي الصفرة كما فسر الراوي والشُّحوب في الوجه. والنظرة: هي الإصابة بالعين.

(2) ضارعة: نحيفة. وهم أولاد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

(3) الحمة: سم العقرب وما يشبهها.

والرقية تكون كلاماً ملفوظاً يتلوه الراقي على نفسه أو غيره، وقد تكون كتابة على شكل "تَمِيْمَةٍ" تُعَلَّقُ على رقبة المريض، وهو ما يسمونه "الحجاب" في بعض بلادنا. وثمة أمر ثالث هو ما ذَهَبَ إليه ابن عباس من أنه تكتب الكتابة على ورق ثم تنقع الورقة المكتوبة في الماء للحامل وغيرها بحيث يشربها المريض، وهذا أمر جائز أيضاً وصحيح.

ج- الرقية الممنوعة والمسموحة

أختي المسلمة، الرقية الممنوعة والمحرمة هي ما كان من ألفاظ الجاهلية وما كان فيها من ألفاظ الكفر والشِّرْك؛ فقد روى عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه فقال: كنا نَرْقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: **«اعْرِضُوا عليَّ رُقَاكُم، لا بأسَ بالرُّقَى ما لم يكن فيه شِرْكٌ»**.

وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاء آلُ عمرِو بن حَزْم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنه كانت عند رُقْيَةٌ نرقي بها من العقرب، وإنك نَهَيْتَ عن الرقى، قال: فَعَرَضُوها عليه فقال: **«ما أرى بأساً، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعَلْ»**.

فالرسول ﷺ نهى عن الرقى التي فيها كلام غير مسموح به في الإسلام، وهذا كما يفعل بعض الناس في عصرنا إذ يلجؤون إلى الدجالين الذين يكتبون لهم ما يكون مخالفاً لعقيدة الإسلام بألفاظ وكتابات غريبة لا يعرفها الناس عادةً، وهم يأخذونها من بعض كتب السحر المليئة بألفاظ الشرك.

أختي المسلمة، إن بعض هذه الكتابات مكتوب بحروف سريانية ألفاظها عربية، فهؤلاء الذين كتبوا هذه الكتب أرادوا إخفاء الكفر في كتاباتهم

فلجؤوا إلى اعتماد لغتين: لغة يكتبون بها فيستخدمون حروفها فقط، ولغة للفظ بها، وهذا مثل ما لو أردنا أن نختار اللغة الإنجليزية للتعبير عن اللغة العربية فنقول عن كلمة "كَتَبَ" مثلاً KATABA، فتكون الحروف إنجليزية، ولكن اللفظ عربي والمعنى عربي، وهكذا استخدمت اللغة السريانية في بعض هذه الكتابات المأخوذة من تلك الكتب التي يعتمد مؤلفوها على السحر وحده، ويأخذ الدجالون مثل هذه الكتابات فيرسمونها كما هي وهم لا يعرفون مضمونها لأنهم يجهلون حروف اللغة التي كتبت بها تلك الكتابات.

والرقية المسموحة شرعاً هي أدعية وآيات من القرآن، وقد علمنا النبيﷺ كيف ندعو وكيف نسترقي ونطلب الشفاء، كما سيأتي توضيحه.

وأما الحديث النبوي الذي جاء فيه أن سبعين ألفاً من أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة بغير حساب، وأنهم كما قال النبي ﷺ: **«هم الذين لا يتطيرون ولا يَسْتَرْقُون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»**[1]؛ فهذا يدل على كراهية أن يطلب الإنسان الرقية من غيره؛ فإن كلمة "يَسْتَرْقُونَ" في هذا النص هي من الفعل "استرقى يسترقي"، وهو مثل "استخدم يستخدم"، ومعناهما: طلب الرقية، وطلب الخدمة. وأما أن يرقيك شخص بدون أن تطلبي منه فلا حرج، وأفضل شيء أن يرقي الإنسان نَفْسَهُ بنفسه.

---

(1) لا يتطيرون: من التطير والطِّيَرَةُ، وهي أيضاً التَّوَلَةُ، وهذا التطير منه ما هو مكروه مثل أن ينكسر الطبق أو أي شيء فيظن الإنسان أن الشر وقع في بيته، ومنه التطير الحرام الذي يكون بالدلالات التي يفعلها الكهان كزجر الطير بأن ينفقها وهي على الأرض بالحصا ثم تمر يميناً فيقوم بقضاء الحاجة التي يريدها، وأما إذا طارت عن الشمال فهو يتشاءم فلا يقوم بقضاء حاجته التي يريدها. وهذا من أفعال الجاهلية، وله أمثال كثيرة في عصرنا مثل الطرة والنقش، وعلبة الكبريت التي تُثَقَّفُ فإن وقعت تشاءم الإنسان.

3- بعض الرقى الشرعية

وقد ورد في الأحاديث النبوية ما فيه إرشاد لنا إلى بعض ما يسترقي به المريض؛ فمن ذلك رقية المرض بسورة الفاتحة؛ فعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر، فمروا بحيّ من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يُضَيِّفُوهم، فقالوا لهم: هل فيكم راقٍ؟ فإن سيدَ الحيِّ لَدِيغٌ أو مُصَابٌ، فقال رجل منهم: نعم. فأتاهُ فَرَقَاهُ بفاتحة الكتابِ فَبَرَأَ الرجلُ، فأُعطي قطيعاً من الغنم، فأبى أن يَقْبَلَها وقال: حتى أَذْكُرَ ذلك للنبي ﷺ، فأتى النبيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذلك له فقال: يا رسول الله، والله ما رَقَيْتُ إلا بفاتحة الكتاب، فَتَبَسَّمَ وقال: **«وما أَدْرَاكَ أنها رُقْيَةٌ؟»**، ثم قال: **«خُذُوا منهم واضرِبُوا لي سَهْمي معكم»**[1].

ففي هذه الوصية دلالة على أن الفاتحة يُسترقى بها من مرض أو لدغة أفعى أو غير ذلك من الأمراض التي تصيب الإنسان. والفاتحة هي أمُّ الكتاب، وفيها معانٍ عظيمة وجليلة، كما أن القرآن جمع كل الكتب السماوية التي أنزلها الله عز وجل.

وأيضاً في الوصية دلالة على جواز أن يأخذ الراقي أجرةً على الرقية إذا ما أعطاه الناس أجرةً على قراءته، وأيضاً جاء في موضع آخر قوله ﷺ: **«إن أحقَّ ما أخذتم عليه أجراً لَكِتَابُ الله»**، فيجوز أخذ الأجر على تعليم القرآن الكريم أيضاً.

وجاء في رواية أخرى بيان من الصحابي لما فعله مع سيد الحي حين قرأ عليه الفاتحة فقد قال: **«فقرأتُ الحمدَ عليه سبعَ مراتٍ»**؛ أي أنه قرأ الفاتحة سبع مرات على المريض.

---

(1) لديغ: لدغته أفعى. اضربوا لي سهمي معكم: أي اجعلوا لي حصة فيما أخذتموه من أجرة منهم.

ومن الرقى التي ينبغي للإنسان أن يحفظها ويتعلمها ما جاء من أن النبيﷺ اجتمعت عليه الشياطين من الفِجَاج والأودية ومن كل حَدْبٍ وصَوْبٍ، يتقدمهم شيطانٌ بيده شُعْلَةٌ يريد أن يُحْرِقَ بها وجهَ رسول الله ﷺ، فَنَزَلَ جبريلُ عليه السلام وعلَّم النبي ﷺ دعاءً تفرَّقت به الشياطين في الفجاج والأودية، وهذا نص الدعاء:

«أعوذ بكلماتِ اللهِ التاماتِ التي لا يجاوزُهُنَّ بَرٌّ ولا فاجرٌ من شَرِّ ما خَلَقَ وذَرَأَ وبَرَأَ، ومن شَرِّ ما يَنْزِلُ من السماءِ ومن شَرِّ ما يَعْرُجُ فيها، ومن شَرِّ ما ذَرَأَ في الأرضِ ومن شَرِّ ما يَخْرُجُ منها، ومن شَرِّ فِتَنِ الليلِ والنهارِ، ومن شَرِّ كلِّ طارقٍ يَطْرُقُ إلا طارقاً يَطْرُقُ بخيرٍ يا رحمن».

فهذا الدعاء كَوْني يشمل الدعاء بالتخلص من كل شرٍّ يعترض الإنسان في هذا الكون، من الإنس ومن الجن، ومن السحر ومن الشر الذي يأتي من أهل الأرض. ومن المفيد الحرص على تعلمه وقراءته في الصباح وفي المساء عند النوم.

ومن الرقية الشرعية لكل مرض أن يضع الإنسان يده على موضع الوجع في جسده ويقرأ بكلمات علَّمها النبي ﷺ لأحد أصحابه، فقد روى عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه: أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ: **«ضَعْ يَدَكَ على الذي تَأَلَّمَ من جَسَدِكَ وقُلْ: بسم الله، ثلاثاً، وقل سبعَ مراتٍ: أعوذ بالله وقُدْرَتِهِ من شرِّ ما أَجِدُ وأُحَاذِرُ».**

وقد نزلت المعوذتان للاستشفاء من السحر ومن المرض، وكان النبيﷺ يقرأ بهما ويمسح بهما على وجهه بعد أن ينفث بما قرأ على يديه.

4- أثر الرقية

أختي المسلمة، إن الرقية الشرعية فيها دعاء وتصرفات قولية وفعلية أمرنا بها النبي ﷺ، وهي من باب الدعاء لله سبحانه وتعالى بأدعية خاصة، وليس الكلام يشفي إلا إذا أذن الله بالشفاء، فالله هو الذي يشفي قطعاً، ولا يجوز أن يتصور الإنسان أن ورقة أو كل ما يعلق على الرقبة هو ما يحقق الشفاء، فهو ظن المشركين، ولذلك قال النبي ﷺ عن بعض الكتابات: إنها من عمل الشيطان؛ فهذا لأنها كتابات فيها ما يخالف عقيدة الإسلام كما فيها اعتماد على غير الله، وأصحابها يعتمدون عليها، ويظنون أنها تحقق الشفاء.

والمرض منه ما يصيب بدن الإنسان بالجراثيم والميكروبات وسائر الأحياء الصغيرة التي لا ترى إلا بالمجاهر المكبرة جداً كالفيروسات، وهذه لها عمل في بدن الإنسان إذا دخلت فيه، ولا يصيب الإنسان منها شيء إلا بإذن الله، ولا يشترط أن يدخل هذا الجسم الغريب إلى الجسم فيحقق فيه المرض ما لم يأذن الله بذلك، فإن بعض الأجسام يحصنها الله سبحانه، بل إن الجراثيم والمُمْرِضات لا تؤثر فيها، فالمرض لا تحققه العدوى ولا تؤثر فيه العدوى، بل إن الله سبحانه وتعالى هو المؤثر في حياة الأبدان، وهو الذي يقدِّر ما يقدِّرُ، ولا يحصل شيء إلا بإذنه، وما لم يأذن فلن يكون لأي شيء مُعْدٍ أي أثر في صحة الإنسان، ولهذا قال النبي ﷺ: **«لا عَدْوَى»** أي أنه نفى ورفض اعتقاد المشركين بأن العدوى تؤثر بنفسها في الأحياء، وردَّ على الأعرابي الذي قال له: إنا نُوْرِدُ المُمْرِضَ على المُصحِّ فَيُعْدِيه، فقال لذلك الأعرابي: **«يا أعرابي، فَمَنْ أَعْدَى الأول؟»**.

فالأعرابي ظنَّ أن العدوى هي المؤثرة لأن المشاهد المحسوس أن الجِمَالَ الصحيحة حين توضع مع الجمال الجَرْبَى ينتقل الجرب إلى الصحيحة، غير أن

النبي ﷺ ذكَّر الأعرابي بسؤاله: كيف دخل الجرب على الإبل أصلاً؟ وهل كان ثمة من أعدى الجَمَلَ فجعله يَجْرَبُ؟ إنه لا شكَّ أن هذا لم يحدث بالعدوى بل بإذن الله تعالى.

وهذا النوع من المرض الذي يدخل الأجسام جعل له الشرع علاجاً مادياً، وعلمنا القرآن بعض هذه العلاجات كالعسل، وأكَّدها النبي ﷺ وبيَّنها، فذكر لنا منافع الحبة السوداء، ومنافع العسل، والحُلْبة، ومنافع التمر، والقُسْط، والسَّنا، والسنُّوت، وغير ذلك من الأغذية والأدوية، كما وصف لنا أن العلاج يكون بالحجامة أو بشرطة مِحْجَم، وبالكي، وجعل الكي بالنار آخر الدواء، وهو مكروه. وقال: **«تداووا عبادَ الله»** فأباح لنا هذا الدواء والتداوي المادي إباحةً تامةً.

وإلى جانب هذا الدواء المادي جاء الدعاء دواءً معنوياً، وكانت الرقية من الدعاء بالشفاء وطلبه من الله سبحانه، فكان التداوي المادي مطلوباً إلى جانب التداوي المعنوي.

5- تعليم المرأة

أختي المسلمة، ترشدنا هذه الوصية إلى مشروعية تعليم المرأة العلم للآخرين؛ والعلم كما أوضحنا له جانب متعلق بحياة الإنسان، وهذا الجانب يمس حياة الرجل والمرأة اليومية، وهو أمور تتصل بالعقيدة والأحكام الشرعية التي تتعلق بالصلوات وكيفية أدائها على وجه صحيح لتكون مقبولة عند الله، وكذلك كيفية أداء الصوم المفروض، وكيفية أداء زكاة الفرض، وكل ما يحصل من أمر في حياة الإنسان اليومية في أعماله الدنيوية عليه أن يتعلم أحكامها الخاصة المتعلقة بها؛ فالمرأة إذا أرادت البيع فعليها أن تتعلم كيف تبيع على وجه صحيح، وذلك بتعلم كيفية عقد البيع، وإذا أرادت

التسوق فعليها أن تتعلم أحكام السوق وأحكام عقود البيع والشراء، والأحكام البضائع، وكل ما يتعلق بما تريد إنجازه. هذا فرض على كل شخص أن يتعلمه أصلاً قبل القيام بأي عمل يريد القيام به من هذه الأعمال.

وأما العلوم الأخرى فليس فرضاً على الناس تعلمها، بل الفرض منها ما يتعلق بالعلوم التي لا بد منها لبقاء الإسلام والمسلمين، وهذه العلوم الخاصة هي من باب فرض الكفاية لا فرض العين، وهذه الوصية لا تمنع المرأة من تعلم العلم، وفيها جواز تعليم المرأة للمرأة الكتابة، كما أن فيها جواز تعلم العلوم الأخرى، فالرقية أيضاً تتضمن معرفة ولو بسيطة بالطب؛ فهي متعلقة بالطب، وليس ثمة ما يمنع المرأة من العلم إلا عقول بعض الجهلة الذين لا يفهمون أوامر الشرع، وهم أصحاب علم قليل، والعلم القليل خطر على صاحبه كما قيل قديماً.

وأيضاً في هذه الوصية إرشاد إلى كيفية التعليم؛ فالنبي ﷺ هو الوجه والمعلم للأمة، وقد طلب من الشفاء أن تعرض الرقية كما طلب من آل عمرو ابن حزم أن يعرضوا عليه ذلك، و"العَرْضُ" اصطلاح دخل علم الحديث النبوي، إذ يذاكر التلميذ شيخَهُ بما يحفظ، وربما يقرأ عليه التلميذ من نسخته ما كتب، فتحصل مقارنة لنسخة التلميذ بنسخة شيخه، وهكذا يتم العرض بالمحفوظ أو بالمكتوب، وأصل العرض وجوازه مأخوذ من هذه الوصية وغيرها من وصايا النبي ﷺ.